

المدارس القرآنية بالجنوب الجزائري ودورها في التوعية إبان الاستعمار الفرنسي لمنطقة عين صالح نموذجا

عائشة بلامة مرزاية ملحقة بالبحث
المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي

الملخص

المؤسسات الدينية، تشمل كل ما له علاقة في تكوين وتربية الفرد وأبناء الأمة تربية وتكويناً دينياً، وهي تتنوع في مجتمعنا الإسلامي إلى مؤسسة المسجد والمدارس القرآنية والزوايا.

والمدارس القرآنية بالجنوب الجزائري كنموذجاً لهذه المؤسسات الدينية، لعبت دوراً فعالاً في الحقبة الاستعمارية، حيث ساهمت كغيرها من المؤسسات الوطنية في بناء الأمة، لا سيما في المحافظة على وحدة الوطن وعروبة اللسان ودين الإسلام.

فتعتبر منطقة عين صالح الواقعة في قلب الصحراء الجزائرية، نموذجاً لهذه المدارس، التي كان منطلقها مجموعة من الكتابات القرآنية المنتشرة في التجمعات السكانية المعروفة بالقصور، أين يلتف السكان حول هذه المنارات المضيئة، لتشجيع الناشئة على حفظ القرآن ومراجعته، وكذا تعليم الإملاء والكتابة، مما ساهم في تربية وإعداد أبناء الأمة في فكرهم ودينهم وحسهم الوطني.

فيا ترى كيف تجسد دور هذه المؤسسات الدينية المحلية بمنطقة عين صالح إبان الاستعمار الفرنسي؟

من خلال هذا البحث سنشير إلى هذا الدور الذي أسهمت به هذه المؤسسات في العناصر التالية:

- تحديد المؤسسات الدينية المحلية الفاعلة في منطقة عين صالح إبان الاستعمار.
- التعرف واقعيًا على منهجية التعليم والتربية المستمرة إلى الآن بهذه المؤسسات.
- إبراز دور التربية والتعليم بالمؤسسات الدينية في إعداد الفرد والمجتمع فكريًا وثقافيًا، دينيًا ووطنياً.

الكلمات الدالة

المدارس القرآنية، منطقة عين صالح، الاستعمار الفرنسي.

مقدمة

كان للفتوحات الإسلامية في مسيرتها لنشر الدعوة المحمدية، شأن كبير في نشر المدارس القرآنية وتوسيعها، وكذا تحفيظ القرآن الكريم. فمنذ القرون الأولى للإسلام سعى المسلمون لتنشئة أطفالهم تنشئة دينية مهيبة وسليمة، وذلك بإدخالهم المدارس القرآنية، التي عُرفت لدى العامة بالكتاتيب القرآنية، بغية تعلم القراءة والكتابة، أين يتلقون علوم القرآن ومبادئه من مدرسين ثقافة تميزوا بحسن السيرة والخلق. ومناطق الجنوب الجزائري الواقعة في الصحراء الكبرى لا تستثنى من ذلك، فهذه "الصحراء الأفريقية قد شهدت خلال العصور الوسطى، وبداية العصر الحديث، مداً إسلامياً واسعاً، عن طريق تجار وسكان المغرب العربي وصعيد مصر، ولعب المرابطون والموحدون دوراً هاماً وبارزاً، في نشر الدين الإسلامي، حتى أعماق الصحراء، حيث قامت بها مراكز عمرانية وحضارية كبيرة، ابرزها مدينة تيمبكتو، وجني وغاو، كما قامت بها مجموعة من الامارات والممالك، وأخذت الثقافة العربية الإسلامية طريقها الى كل بلاد السودان، وبلغت أوج ازدهارها خلال القرن السادس عشر حيث حسن

اسلامهم، وتكاثر علمائهم وأصبحت المنطقة كلها امتداداً طبيعياً، للثقافة العربية الاسلامية"¹

ومنذ القدم عرفت منطقة عين صالح بانتشار المؤسسات الدينية في كل قصورها، كالمساجد والزوايا والمدارس القرآنية، اعتباراً من كونها إحدى مقاطعات إقليم توات الذي سمي بحسب ما "أطلقه بعض الرحالة القدماء على مجموعة الواحات الممتدة من ناحية الجنوب الغربي الى وسط الصحراء الجزائرية كالرحالة ابن بطوطة والعلامة ابن خلدون... وذلك بحسب التشابه الجغرافي للمنطقة، حيث نلاحظ أن أرخبيل الواحات بهذه الناحية من الوطن يتواجد في منخفضات وتجاويف أودية مغلقة وطويلة للغاية".²

اشتهر الإقليم بمراكز إشعاعية ثقافية، لعبت دوراً هاماً في نشر الحركة الدينية والعلمية، فكل ما كان يميز إقليم توات من نشاط ديني وفكري وعلمي، إلا وكان له علاقة مع منطقة عين صالح، ومرد ذلك، للإرتباط الوثيق بينها وبين الإقليم من جهة، ونظراً لموقعية المنطقة في قلب الصحراء من جهة أخرى، وعلاقاتها وصلاتها التجارية، الدينية للقوافل العابرة للصحراء، بغرض التبادلات التجارية أو لأداء مناسك الحج.

"لقد استهوى النشاط التجاري الواسع والمزدهر بالصحراء الدول الأوربية، فعزمت على غزوها واستعمارها، فاهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية وتتبع منابع الانهار الافريقية: كالنيل والنيجر وغامبيا وغيرها وتكونت لهذا الغرض جمعيات جغرافية وعلمية، تكفلت بإرسال البعثات الاستكشافية وتحملت نفقات هذه الرحلات".³ وما أكد أطماعهم ماورد في التقارير التي كتبوها حول المنطقة.

¹ عائشة بلامة مرزاية، الارث الحضاري وطوبونيمية (موقعية) تيديكلت، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، العدد 17، جوان 2006، ص 92.

² المرجع السابق ص 398.

³ فرج محمد فرج، إقليم توات خلال القرن الثامن والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص 17.

"فحسب ديپورتير في تقريراً له، بين فيه الفائدة التي ستعود على تجارة فرنسا والأرباح التي تجنيها، لما تضع يدها على مدينة عين صالح، التي كانت تتحكم حسب رأيه في طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء"¹ إلا أن التشبع بالجانب الديني، ساهم بشكل أو بآخر، في تعطل التوغل الاستعماري لمنطقة عين صالح، الذي كان يسعى للاستيلاء على هذا المركز التجاري الصحراوي، أمنية الفرنسيين، للسيطرة على الإقليم التواتي ومنطقة الأهقار إلى غاية تمبكتو وذلك بفضل تصديهم للعدو بشتى الطرق التي يمتلكونها وكان مسعاهم في ذلك.

ولذلك استعملت فرنسا خطة تتستر بها للسيطرة على المنطقة، قصد الوصول إلى عين صالح. تمثلت هذه الخطة في إجراء أعمال تنقيب، لدراسة أوضاع طبقات الأرض في إفريقيا الشمالية، التي قادها الجيولوجي فريدريك فلانمند Flamand الحملة التي أدت الى احتلال عين صالح سنة 1899 حيث استخدم عمله كستار، " ولم تنحرف فرنسا عن مسعاها وعززت حملة عسكرية للسيطرة على المنطقة بقيادة الرائد (الماجور) بين Pinn فوق اشتاكان عنيفان أسفر على احتلالها في 30 ديسمبر سنة 1899 وعرفت بمعركة لفقيقية تلتها معركة الدغامشة في 4 جانفي 1900 ثم معركة اينغر 19 مارس 1900 وتلتها تيط في 23 مارس 1900 ثم اقبلي واولف"² وصولاً إلى منطقة توات وتمت السيطرة على باقي المناطق التي تشملها.

وختم اهتمام الفرنسيين بالصحراء، تصريح ديغول خلال زيارته للجزائر يوم 08 ديسمبر 1958 قائلاً: إن الصحراء هي أرض المستقبل بين

¹ المرجع السابق، ص 93.

² أحمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916، مقال في مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، العدد 11، السداسي الأول 2005 ص 117.

عالمين، عالم البحر المتوسط وعالم افريقيا وبين عالم المحيط الاطلسي وعالم النيل والبحر الاحمر".¹

لمحة سوسيو تاريخية عن منطقة عين صالح

تعد منطقة عين صالح إحدى مناطق إقاليم توات الكبرى سابقًا وهي توات قورارة وتيديكلت، واعتبرت عين صالح عاصمة لتيديكلت لها.

تيديكلت إحدى مناطق إقليم توات الثلاثة وهي:

-منطقة قورارة من تبلكوزة إلى تسابيت.

-منطقة توات الوسطى من تسابيت إلى رقان -منطقة تيديكلت من رقان

إلى فقارة الزوى بعين صالح .

فكانت تيديكلت تتشكل من ست مقاطعات فبدء من الجهة الشرقية

للإقليم: "مقاطعة فقارة الزوى واقسطن، مقاطعة عين صالح، مقاطعة عين غار، مقاطعة تيط، مقاطعة اقبلي، مقاطعة أولف".²

وبعد أن استولى الاستعمار الفرنسي على المنطقة منذ 8 ديسمبر 1928

وبمقتضى قرار إداري من السلطة الفرنسية بتدكلت الهقار، ألحقت منطقة

تمنراست ببلدية الأهالي في سنة 1949 جعلت السلطة الاستعمارية عين صالح دائرة على تمنراست وأولف".³

في 15 يونيو 1949 أنشئت بلدية مستقلة في الهقار، وذلك بمقتضى

مرسوم وزاري للسلطة الفرنسية، التي قامت بتقسيم ملحقة تيديكلت الهقار إلى بلديتين هما :

-بلدية تيديكلت، وعاصمتها عين صالح.

¹ فرج محمد فرج، مرجع سابق.

² أحمد بن زينة وآخرون، الفقارة في ولاية أدرار: دراسة تاريخية واقتصادية واجتماعية، وحدة البحث بالجامعة الأفريقية بأدرار، 2003.

³ علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر. 2009 ص 15-16.

-بلدية الأهالي في الهقار وعاصمتها تمنراست .

بعد الاستقلال وبموجب مرسوم وزاري، انقسمت منطقة تيديكلت بين ولايتين جزء منها تابع لولاية تمنراست وهما منطقة عين صالح وفقارة الزوى، وجزء منها تابع إداريا إلى ولاية أدرار حاليا وهما أولف ورقان.

لموقع الفلكي: مساحة تديكلت تقارب 115000 كلم² تتموقع على الدائرة 27° من دوائر العرض شمالا ومحدودة من الشرق بخط 6.80° ومن الغرب ب 0.30° شرقا وهذا بالنسبة لخطوط الطول تقع جنوب هضبة تادميت وتنتهي من الجنوب بحواف واد بوتة وجاريت وسبخة مقراني. أما عين صالح تنحصر بين دائرتي عرض 29°، 25° شمالاً وبين خطي طول 2°، 5° شرقا ويعرف هذا الحيز الجغرافي باستواء سطحه مع وجود بعض العروق. الهضاب: هضبة تادمايت.

إداريا : يحدها من الشمال دائرة المنيعية التابعة لولاية غرداية، ومن الشرق بلدية ادلس وبرج عمارادريس التابعة لولاية إليزي ومن جهة الجنوب بلدية عين أمقل التابعة لولاية تمنراست ومن الغرب دائرة أولف التابعة لولاية ادرار. تبعد عن ولايتها تمنراست بمسافة 650 كلم. عن الجزائر العاصمة بحوالي 1300 كلم مستوى ارتفاعها عن سطح البحر بحوالي 293م وتبلغ مساحتها حوالي 13321875 كلم² مربع.

قصور عين صالح

"يعرف القصر لغويا بأنه المنزل وقيل كل بيت من حجر قرشية وسمي كذلك لأنه تقصر فيه الحرم أو تحبس، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (الرحمان:72)... ويقترّب هذا المفهوم من المصطلح المتداول والشائع في المصادر التاريخية، وما يضمه من قيان وغلمان وخصيان. كان يطلق عليه في بداية العهد الإسلامي بلاط"¹.

¹ المرجع السابق ص 18-19.

لكن مفهوم القصر يختلف عما هو عليه مفهوم القصر في المناطق الصحراوية "فالقصر بتلك المناطق عبارة عن قرية محصنة أو بالأحرى هو عبارة عن تكتلات سكنية متواصلة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية، تنتهي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة. يحيط بهذه التكتلات أحيانا سورا سميكا، تتخلله مزاغا ومدعم بأبراج".¹

فقصور عين صالح هي: قصر المرابطين، قصر العرب، البركة، الدغامشة الزاوية مليانة، حاسي لحجار، إنغراقسطن، لفقيقرة، فقارة العرب، فقارة الزوى، الساهلة الشرقية والساهلة الغربية.

التركيبة السكانية

يتشكل المجتمع السكاني من أجناس مختلفة ومتنوعة منها عرب، بربر، زنوج انصهرت فيما بينها وكونت سكان وذلك بسبب الرحلات والفتوحات الإسلامية من بين هذه القبائل والأعراش المشكلة لتديكلت²:

- عرش أهل عزي من اقدم الجماعات المتواجدة بعين صالح وهم مرابطين من جنوب المغرب يعود أصلهم الى سيدي أحمد بالحنفي القرن 13 عشر وبعد هذا القرن تأتي الهجرات الواسعة.

- عرش أولاد يحي قبائل رحل عربية جاؤ من منطقة قورارة رحلوا الى عين صالح في حوالي 1700.

- عرش أولاد باحمو، جاؤ من الجبل الاخضر في القرن 17 وأنشأو قصر العرب وأغلبهم بدو رحل.

أولاد دحان عرب من أصل مغربي استقرو بتديكلت في حوالي سنة 1730 وهم في الأصل بدو شبه رحل.

¹ J. Ruffié, J. Ducos, H. Vergnes : Étude hénotypologique des populations du Tidikelt (Sahara central). Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris Année 1963 Volume 4 Numéro 4-3 pp. 531-544

² Op.cit

- عرش أولاد المختار وهم اوة لولاد باحمو وابناء عمر بن ملوك استقرو بعين صالح وفقارة العرب. قبيلة الزوى من الابيض سيد الشيخ استقروا بتديكلت حوالي سنة 1700 وأسسوا الزاوية الكبيرة سنة 1790 التي ساهمت في ظهور قرى فقارة الزوى وسيلافن وحينون بحوالي 420 ساكن¹ في تلك الحقبة.

قبائل الطوارق الذين كانوا يجولون منطقة التديكلت في حلهم وترحالهم. بالرغم من هذا التنوع يبقى المجتمع موحد بالدين الاسلامي في مختلف مجالات حياته وتعاملاته.

**تحديد المؤسسات الدينية المحلية الفاعلة في منطقة عين صالح
إبان الاستعمار.**

من بين هذه المؤسسات المساجد: كالمسجد العتيق سيدي بلقاسم ومسجد اولاد الحاج بقصر المرابطين، المسجد العتيق باغسطن، المسجد العتيق القصر الفوقاني بحاسي لحجار، المسجد العتيق الشيخ السنوسي وغيرهم.

أما المدارس الدينية بالمنطقة، تمثلت في تعليم القرآن الكريم بالكتاتيب القرآنية والاصرارعلى حفظه، من منطلق التمسك به والتشرف بتحفيظه وعملا بالحديث الشريف (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وخاصة في الحقبة الاستعمارية. وهو ما نتطرق إليه بشكل مفصل.

فبعد التحاق الطفل البالغ أربع سنوات، بالكتاب يشرع في تحفيظه لكلام الله تعالى، القرآن الكريم بواسطة (اللوح) الذي يقوم المدرس (الطالب) بكتابة السور على (اللوح)، ثم تبدأ عملية التكرار للسورة حتى يتمكن الطفل من تردها، من خلال عملية العرض والسماع والتصحيح المستمر فتكون

¹ زين العابدين موسى الجعفر، خلود حبيب كريم، سوسن عباس، الكتابة الرسمية في صدر الاسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مجلة دباب البصرة، عمادة كلية الاداب، العدد 56، 2011، ص 208

البداية بتعلم الكتابة بالأحرف العربية و"الكتابة في اللغة: كتب الشيء يريدون ضمنت بعضه البعض ويقال : كتب الشيء كتبنا وكتبا وكتابة. وقيل كتيبة الجيش لاجتماعها، وتكتب تجمعت والكتب الحزر ويقال أيضا: اكتب فهو مكتب. واكتب الرجل ما أراد اكتبه اكتبنا، جمعته له وامليته عليه. ويقال زبرت الكتاب اذا كتبت ابره وزبرا".¹ * ولربما من هنا جاء مصطلح الكتاتيب القرآنية من تجمع التلاميذ وكتابتهم بها.

ونورد في مايلي مثال على أهم المدارس القرآنية ابان الاستعمار الفرنسي والمتواجدة بقصر العرب عين صالح ولاية تمنراست، وعادة تسمى هذه المدارس على إسم العائلة التي أنشأتها والتي كانت تعرف بـ(أقريش) في السابق.*

وهذه الكلمة في الأصل مركبة من كلمتين (إقرأ، بلا شئ)أي إقرأ بالمجان بدون مقابل، ثم تمحورت إلى كلمة (أقريش) ومنها:

- . المدرسة القرآنية بقرية الزاوية والتي كانت تشرف عليها عائلة ناجعي.
- . المدرسة القرآنية بحي القصبة والتي كانت تشرف عليها عائلة لمغربي.
- . المدرسة القرآنية بحي بقرية البركة والتي كانت تشرف عليها عائلة بلميلود .
- . المدرسة القرآنية بحي لحذب والتي كانت تشرف عليها عائلة أولاد لمين.
- . المدرسة القرآنية بحي الضاية والتي كانت تشرف عليها عائلة أولاد بابا.
- . المدرسة القرآنية بحي الضاية 2 والتي كانت تشرف عليها عائلة طالب بلقاسم.

- . المدرسة القرآنية بفقار الزوى والتي كانت تشرف عليها عائلة شبلي.
- . المدرسة القرآنية بفقارة العرب والتي كانت تشرف عليها عائلة لمبحح.

* ذكر الواقدي كان الكتاب بالعربية في الاوس والحزرج قليلون وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية وكان يعلمه الصبيان في الزمن الاول وعند مجيئ الاسلام اصبح في الاوس والحزرج احد عشر كتابا ولبدة الكتابة كانوا يلقبون من جمع بين معرفة الكتابة والرحى والعموم {الكامل} فلقب بهذا اللقب سعد بن عبادة وعبد الله بن ابي(المرجع السابق).

* مقابلة مع احد أحفاد الشيخ لمغربي رحمه الله وهو لمغربي عيد القادر، موظف بالمعهد الاسلامي بعين صالح.

التعرف واقعيا على منهجية التعليم والتربية المستمرة إلى الآن
بهذه المؤسسات.

المنهجية المتبعة في التعليم تتمثل كالآتي:

.تدريس وتحفيظ القرآن الكريم.

. القراءة الجماعية وتحفيظ المتون الفقهية (الرسالة، بن عاشر،

والأخضري، شرح خليل والهمزية).

فكانت تقرأ هذه المتون خفيئا، حتى لايعرف العدو ماذا يقرأون، وعلى ما
يجتمعون ولم يثنهم تواجد المستعمر عن الذكر والعبادة في مختلف
تعاملاتهم المبنية على أسس الشريعة الاسلامية،

ونورد بعض الامثلة لهذه المدارس:

أقربيش لمغاربة

الأسم الحالي : المدرسة القرآنية للطالب أحمد لمغربي

التعريف بمؤسس المدرسة:

هو أحمد بن محمد من الحاج الصديق لمغربي، ولد سنة 1872 بـجي
القصبة بعين صالح تعلم القرآن الكريم على يدعمه الطالب قدور بفقارة
الزوى، إلى أن توفي عمه فاستخلفه وواصل التعلم وتعليم القرآن الكريم.
إلى سنة 1901 قدم إلى عين صالح، فقام بفتح المدرسة القرآنية تحت
إشراف عائلته وبـجي القصبة حتى وافته المنية سنة:1956، أستخلفه ابن
أخيه الطالب قدور، وأبنائه الطالب امحمد (أطال عمر) والمرحوم الطالب
عبد الله.

ولازالت المدرسة مفتوحة حتى يومنا هذا تؤدي مهامها من الحسن إلى
الأحسن مواصلة دربها في تدريس وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم كبار السن
خاصة النساء .

. الطلبة المتخرجون منها الدفعة الأولى(الحاج قنوني، التاقي، والحاج
محمد سيدي علي التيطي...الخ).

. الطلبة المتخرجون منها: من الدفعة الثانية (الطالب قدور ابن أخيه
والطالب محمد بابا . أطل عمره).

. الطلبة المتخرجون منها من الدفعة الثالثة (أبنائه الطالب أمحمد
والطالب عبدالله والطالب محمد الزاوي. الطالب عبد النبي بوعمامة محمد
لمغربي... وغيرهم).

وجل هذه المدارس القرآنية كانت تدرس من 50 إلى 60 متمدرس من
الجنسين. من مهامها أيضا الإشراف على تعليم كبار السن مساء.

وتعرضت هذه المدارس القرآنية والمشرفين على التدريس بها إلى عدة
مضايقات أبان الاستعمار الفرنسي ومنها إجبارها دفع الغرامات عن كل ولد أو
بنت تزاوّل الدراسة بالمدرسة.

وكان جلهم لا يفسر القرآن الكريم خوفا من الاستعمار الفرنسي.

**إبراز دور التربية والتعليم بالمؤسسات الدينية في إعداد الفرد والمجتمع
فكريا وثقافيا، دينيا ووطنيا:**

"إن الدور في التربية بصفة عامة وفي تربية الطفل بصفة خاصة لا يماثله
دور أي مؤسسة تربوية أخرى لما لها من أثر في تشكيل شخصية الفرد تشكيلاً
يبقى معه بعد ذلك بشكل من الأشكال. ونظراً لأن الكبار أكثر مرونة وقدرة
فعلمهم يقع العبء، فيتغير سلوكهم ليناسب مع القدرات الطبيعية للأطفال".¹

فقد ساهمت المؤسسات الدينية بشكل عام في تطبيق أحكام الشريعة
الإسلامية في الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث... الخ.

أما أدوار المدارس القرآنية نجملها في النقاط التالية:

¹ كيمان بدير، رعاية الطفل من الجنين حتى العامين، القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2004، ص. 148.

*دور المدارس القرآنية في تعريب اللسان المسلم:

فرغم اختلاف الأجناس والأعراق في المجتمع العين صالح، إلا أن الاسلام وحدهم بفضل المدارس القرآنية التي كان لها الدور الكبير في تعريب اللسان المسلم من خلال نشر اللغة العربية وتعريب اللسان المسلم وتجاوب السكان مع هذا الدين الحنيف وبشهادة الفرنسيين أنفسهم عندما اندهشوا بتوحدهم بالاسلام في تعاملاتهم الاجتماعية. وقد ورد في تقارير ومؤلفات البعض منهم دراسات وصفية تؤكد حرص سكان المنطقة على الدين الاسلامي في حياتهم الاجتماعية كما جاء في مؤلف الضابط فوانو¹ L.Voinot في كتابه عن التيديكلت (Le Tidikelt) وقال بأن سلوكياتهم في شتى المناسبات كالزواج والولادة والتعاون يتماشى والدين الاسلامي. ويؤكد ذلك تقرير J. Ruffié، J. H. Vergnes و Ducos² فيقولون:

Malgré la diversité des races et des tribus, les groupes ethniques"du Tidikelt ont tous un lien commun : la langue arabe et la religion musulmane." ومن أبرز الأمور الاجتماعية الدالة على حرص سكان عين صالح على دينهم وكتابهم الكريم، أنهم في تلك الحقبة، "كانوا يحتفلون بالحافظ لكتاب الله عز وجل، ويجعلون له فرساً يركب، عليها ويجوب شوارع الحي، حتى يعلم الجميع أن التلميذ ختم الستين حزب، فيفرح الجميع به وينشدون الجميع خلفه قصيدة البردة، ويمنحون له الهدايا ويأكل الجميع ويشرب على شرف الحافظ، تشجيعاً له وفرحاً به بالرغم من تواجد المستعمر وتفرضه لما يحصل أمام عينيه وهذا بشهادة حفظة كتاب الله في تلك الحقبة"³.

¹ L.Voinot, Le Tidikelt : Étude sur la géographie, l'histoire, les moeurs du pays. Edition Jacques Ganidi. 1905.

² J. Ruffié, J. Ducos, H. Vergnes , opcit.p 539

مقابلة مع السيد أحمد سبابو الذي تجاوز التسعين من عمره، لا يزال يذكر حدث حفظه لكتاب الله وفرحة والده الذي أركبه الجواد³ وجال به أزقة القصر.

"فعند تخرج الطالب من المدرسة القرآنية وبعد تعلمه عن ظهر قلب السور المختلفة لكتاب الله، يقال انه اتخذ لقب حافظ، وقبل أن يغادر هذه المدرسة يطلب من أستاذه (الطالب) تزيين لوحه ثم يكتب آيات بينات من القرآن الكريم، في وسط اللوح المبيض البطين الأبيض ثم يزينها برسومات هندسية تحيط بها. ويعلن بذلك عن تسميته بالحافظ. إنه بمثابة الحاصل على شهادة البكالوريوس. ومن ناحية يفرح مع والديها والأصدقاء بعرض اللوح الذي يحتفظ به بعناية بعد ذلك في ذكرى الدروس التي تلقاها من أستاذه".¹

كما أشار ليسورد Michel Lesourd (1937)² إلى الأيام السبع التي تسبق عيد الفطر والعيد الأضحى، والتي تكون بمثابة عطلة لطلاب المدارس القرآنية وتسمى لدى السكان بالعُرفات وصغار العرب، الذين يرتادون المدرسة القرآنية، يلبسون أرقى بزاتهم ويمشون في شوارع القصر بينما ألواح القرآن في متناول أيادهم. يتوقفون عند كل باب منزل، يسعون ويرددون المقطع:

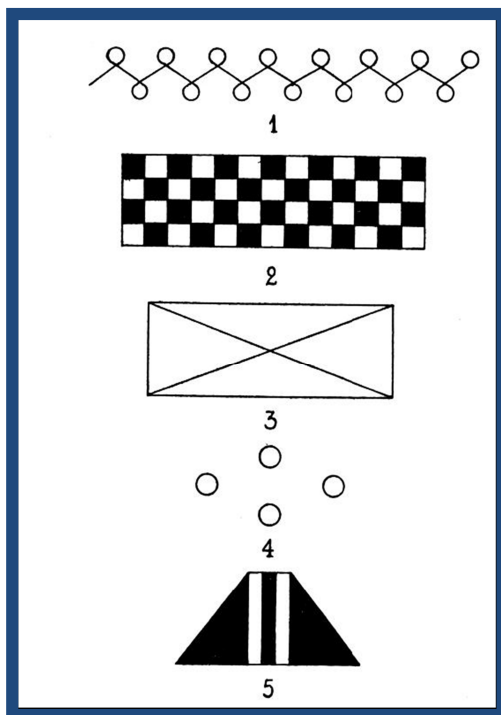
فتح القريبين.

وبشر المؤمنين...

¹ M. Lesourd, Dessins géométriques composés par les élèves des écoles coraniques d'In Çalah - Journal de la Société des Africanistes - Année 1936 - Volume 6 - Numéro 2 - Pages 215-216.

²Op.cit. 213

ترسم على هذه الألواح أشكال هندسية كما هو مبين في الشكل الموالي¹:



الشكل 1 نماذج من تصاميم هندسية M. Lesourd. 1937.

"معنى الرسومات: فهي في غالب الأحيان عبارة عن مستطيلات، مثلثات ومربع.

الشكل 1. موج، الجزء العلوي من اللوح يمثل البسملة (باسم الله).
الشكل 2. مستطيل، يتكون من مربعات صغيرة متعددة الألوان يقال عنها التهليل. وهي تمثل المدرسة القرآنية (أقربيش)، ويشير كل مربع موقع كل طالب في المدرسة.

الشكل 3. مستطيل عادي، يمثل المسجد (المسيد). الأقطار رباعية الأضلاع تعني أقواس المسجد تعني أقواس المسجد.

الشكل 4. تمثل الدوائر الصغيرة نوافذ المسجد (طواقي المسجد).

¹ Op.cit. 214

الشكل 5. أنصاف الدوائر المحيطة، كل الطلاء يشمل قباب المسجد، وهذا هو السبب في ما يطلق عليه أو برج أوقبة.

أما بالنسبة لتلوين الألواح "فالطلاب يقومون بتلوين رسوماتهم بأنفسهم مستعينين بوسائل محلية.

فاللون الأصفر يستخدم من الزعفران، والأحمر بنبات الدخن الأحمر أو السرغون (تافسوت الحمراء)، اللون الأخضر بالأجرجر؟ واللون الأسود بالحبر. ولصناعة هذا الأخير أي الحبر يعتمد على سناج* القدور بعد سحقه ومزجه بالماء. وإضافة قطعة من الصوف و(العلك) وهوراتنج شجر الأكاسيا العربي (طلحة). في غياب الراتنج يستخدم السكر.¹

* دور المدارس القرآنية في القضاء على الأمية

تقول الحكمة: "الجهل مطية، من ركبها ذل ومن تبعها ضل"، ونظراً لمكانة الكتابة في الإسلام وفضلها قال تعالى وهو أول ما انزل من القرآن الكريم اقرا فجعل تبارك اسمه أول ما انزل من القرآن الكريم ذكر التفضيل على عباده بخلقه لهم وما اندبهم له بذلك من البقاء الدائم والنعيم المتصل لمن امن به ووحدته وصدق بنييه ومعنى قوله الذي علم بالقلم: الذي علم الكتابة بالقلم²

ومن باب القضاء على الأمية والجهل ساهمت هذه المدارس في بذل جهود مكثفة وعمل متواصل حققت فيه نجاحاً كبيراً في نشر الوعي الديني والقضاء على الأمية وذلك عن طريق التوسع في إنشاء المدارس القرآنية ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم في جميع قصور عين صالح، وكان المنطلق من

* سناج (Soot) (أو هباب الفحم أو السخام) هو تعبير عام يشير إلى جسيمات الكربون الناتجة عن الاحتراق غير الكامل للهيدروكربونات. (عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة). وهناك من يستعمل عبارة سناج في المنطقة، إما للدلالة على السناج أين تقلب المم مكان الحاء، وإما للدلالة على الصمغ (الراتنج).

¹ Op.cit. 215

² زين العابدين موسى الجعفر، خلود حبيب كريم، سوسن عباس المرجع السابق ص 209.

إنشاء الكتاتيب القرآنية، النواة الأساسية لنشر الوعي والذي رقى إلى مستوى تخريج أفواج من القيميين الدينيين المتشبعين بالروح الوطنية، عقدياً ومذهبياً وتصوفي.

فمن أبرز الأدوار التي قامت بها هذه المؤسسات منذ القدم كانت لترسيخ مبادئ الروح الوطنية وبحسب شهادة الأشخاص الذين عاشوا في تلك الحقبة* كان التلاميذ يكتبون في أسفل (اللوحة) بعد كتابة السور طبعاً، الأناشيد الوطنية كنشيد قسماً ونشيد علمي ونشيد من جبالنا.

فكان الاسهام الأكبر لهذه المدارس اقناع الشعب بالحرية التي تأخذ ولا تعطى والجهاد في سبيل الله، وهذا ما حققه الثوار المجاهدين الأشاوس من خلال تشبعهم بروح المقاومة.

ولا تزال المدارس القرآنية تنتشر وتتوسع بمنطقة عين صالح وأعدادها تتزايد يوماً بعد يوم "فقد بلغ على سبيل المثال عدد المدارس القرآنية بدائرة عين صالح 45 مدرسة وفقارة الزوى واقبالاً ملحوظ من طرف المتدربين فقد بلغ مجموع التلاميذ 6898 تلميذ حسب احصائيات 2008م".¹

فقد بلغت نسبة الذكور 44,64% أما الإناث 53,82% وبالنسبة مزدوجي التعليم 78,80% أما فيما يتعلق بمن هم في سن ما دون التمدريس 13,20%.

* الاستاذ سلامات مبروك استاذ اللغة العربية بمتوسطة المغيلي.

* الاستاذ عابد قدور امام خطيب ومدرس بالمدرسة القرآنية بقصر المراتين.

* السيد مبارك مرزاية مدير متقاعد.

¹ وزارة الشؤون الدينية والاوقاف لولاية تلمسان، احصاء المدارس القرآنية بدائرة عين صالح ودائرة فقار الزوى لسنة 2008.

الخاتمة

للمدارس القرآنية دوراً كبيراً في ترسيخ تعاليم ديننا الحنيف، فبفضلها كان السكان سباقون في تأييد الثورة التحريرية ومساندين وداعمين لها، في الفاتح نوفمبر 1954م. وقد انضم عدد كبير من أبنائها في صفوف جيش التحرير الوطني وتحقق بذلك الإستقلال الوطني، ولاتزال ساحات المعارك تشهد على ذلك التوحد في الكلمة بدون فروق عرقية ولا إثنية، كان هدفها النصر أو الاستشهاد في سبيل الوطن، والشاهد على ذلك، ساحات المعارك بمنطقة عين صالح في كل من لفقيقية، والدغامشة وإنغر أين عبر سكان الصحراء بكل قوة وبكل عزة وكرامة عن كونهم جزء لا يتجزأ من الجزائر الحرة المستقلة التي تدين بالاسلام.

وصدق الإمام ابن باديس في كلماته الخالدات حين قال:

شعب الجزائر مسلم	والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات فقد كذب

المراجع

- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.
- فج محمد فرح، إقليم توات خلال القرن الثامن والتاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977.
- أحمد مريوش التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916 مقال في مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، العدد 11 السداسي الاول 2005 ص117.
- علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغبة، الجزائر، 2009.
- عائشة بلامة مرزاية، الارث الحضاري وطوبونمية (موقعية) تيديكلت، المعهد الوطني الجزائري للبحث الزراعي، العدد 17، جوان 2006.
- كيمان بدير، رعاية الطفل من الجنين حتى العامين، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2004.
- أحميدة بن زبيلة وآخرون، الفقارة في ولاية أدرار، دراسة تاريخية واقتصادية واجتماعية، وحدة البحث بالجامعة الأفريقية بأدرار، 2003.

تقارير

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف لولاية تلمسان، إحصاء المدارس القرآنية بدائرة عين صالح ودائرة فغار الزوى لسنة 2008. فرع عين صالح.

الشبكة العنكبوتية

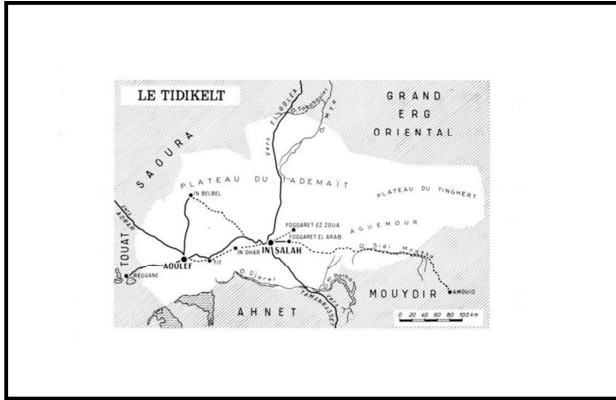
ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

المراجع بالفرنسية:

J. Ruffié, J. Ducos, H. Vergnes Étude hémotypologique des populations du Tidikelt (Sahara central). Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris Année 1963 Volume 4, Numéro 4-3, pp. 531-544.

L.Voinot, Le Tidikelt : Étude sur la géographie, l'histoire, les moeurs du pays. Edition Jacques Ganidi. 1905.

M. Lesourd, Dessins géométriques composés par les élèves des écoles coraniques d'In Çalah - Journal de la Société des Africanistes - Année 1936 - Volume 6 - Numéro 2 - Pages 213-216.



خريطة تيديكلت.



Figure 2 : En convoi entre In Salah et Reggan
JEAN CAUZ 1960